هل يمكن للعلم أن يثبت وجود الله أو عدم وجوده؟

د. جواد بشارة

لمن نكتب ولماذا؟ من سيقرأ ومن سيستفيد مما نكتب وننشر بعد تعب ومعاناة في البحث الدؤوب والتبويب والقراءة والمتابعة وتتبع المحاضرات العلمية والتجارب العلمية في مختلف أنحاء العالم وبمختلف اللغات؟ فكرت مع نفسي بأنه لولا الأبحاث والنظريات العلمية لما تطور البشر وتطورت التكنولوجيا التي نتمتع بها اليوم. هذا هو المنطق، المتحالف مع مجموعة من البديهيات، وهو الذي يوجه الإبداع البشري؛ وبالتالي يمكننا من التلاعب بالأفكار ودمجها لكشف الحقائق الأبدية. ولكن بعد أن اطلعت على تحفة برايان غرين الأخيرة وهي كتابه " حتى نهاية الزمان، مكاننا في هذا الكون" بدا لي أنه علي أن أستمر وأواصل مهمتي، كما يتعين علي الحديث عما جاء في هذا الكتاب الذي نشره قبل أشهر قليلة عالم الفيزياء المشهور عالميًا برايان غرين Brian Greene ، وهو أيضاً مؤلف كتاب الكون الأنيق الأكثر مبيعًا ، وكتاب نسيج الكون The Elegant Universe and The Fabric of the Cosmos ، وهو استكشاف آسر للزمن العميق، وبحث البشرية عن هدف في كل من الزمان والمكان ، في هذا الكون الشاسع بشكل مذهل ، ومع ذلك تحكمه قوانين رياضياتية عالمية بسيطة وأنيقة .في هذا الجدول الزمني الكوني، نجد أن عصرنا البشري مذهل ولكنه عابر. فنحن نعلم أننا سنموت جميعًا في يوم من الأيام، ونعلم أن الكون المرئي نفسه كذلك سيموت وينتهي. كتاب حتى نهاية الزمان وموقعنا في هذا الكون هو الانتاج الجديد المذهل عن الكون وسعينا لفهمه وقد تحدثت عنه باسهاب في أحد هذه الكتب الثلاثة. يأخذنا غرين في رحلة عبر الزمن، من فهمنا الأكثر دقة لبداية الكون، ثم يستكشف كيف نشأت الحياة والعقل والوعي من الفوضى الأولية أو حالة الشواش البدئية، وكيف أن عقولنا، في إدراك عدم ثباتها، تسعى بطرق مختلفة لإعطاء معنى لتجربة الحياة في الكون: من خلال القصة، والأسطورة، والدين، والتعبير الإبداعي، والعلم، والسعي إلى الحقيقة، واشتياقنا إلى الأبدية أو الخلود. ومن خلال سلسلة من القصص المتداخلة التي تشرح طبقات متميزة ولكنها متشابكة من الواقع - من ميكانيكا الكموم إلى الوعي مروراً بالثقوب السوداء - يزودنا غرين بإحساس أوضح عن كيف أصبحنا، وصورة أدق لما نحن عليه الآن، وفهم أقوى لما نتجه إليه .ومع ذلك، فإن كل هذا الفهم، الذي نشأ مع ظهور الحياة، سوف يتلاشى مع نهايتها. وهو ما يترك لنا إدراكًا واحدًا: خلال لحظتنا القصيرة تحت الشمس، نحن مكلفون بمهمة إيجاد المعنى الخاص بنا.

سأكرس ما تبقى عندي من عمر وطاقة لمحاولة التقاط لمحة من السمو في هذا الكون الكلي، وليس فقط الكوني المرئي الذي لايتعدى كونه جسيماً صغيراً في بنية وسيرورة وتكوين الكون المطلق اللامتناهي، بحثاً عن حقيقته المتعالية والمتسامية. ولكن يتعين أولاً المرور بأوليات المعرفة العلمية من خلال نوع من البديهيات، مثل تلك التي يعتمد عليها حساب التفاضل والتكامل متناهية الصغر أو الهندسة الإقليدية، أي نفس التخصصات التي غيرت فهمنا للفيزياء والرياضيات. الجنس البشري واع بحقيقته وواعي بعجزه وقصوره ومع ذلك فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعرف الموت ويدرك أنه سيموت. كل البشر يتقدمون في العمر، ولكن وعيهم يقتصر تمامًا على اللحظة الحالية، والتي يجب أن تكون ممتدة لكي يظهروا أبديين "، وهذه المعرفة تغرس" الخوف من الموت الذي هو في الأساس صفة بشرية. وإن كل دين، وكل بحث علمي، وكل فلسفة تنطلق من هذا الخوف." فنحن أسرى الثالوث المحير" الله الدين العلم"

الثالوث المحير: الله الدين العلم

منذ فجر البشرية وإلى يوم الناس هذا كان هذا الثالوث يثير الخوف والخشية، وفيه طرفين يدعيان امتلاك الحقيقة المطلقة بينما يعمل الثالث على اكتشاف الحقيقة النسبية القابلة للتغيير والتطور كلما تقدمت التكنولوجيا والنظريات العلمية. ولكن هل توجد حقاً " حقيقة مطلقة؟" فالإله يأخذ أشكالاً وتعاريف وماهيات وصفات مختلفة من طرف لآخر، و لا ندري إن كان موجود حقاً أم هو مجرد فرضية أو ضرورة سيكولوجية أوردتها الأديان والمعتقدات البشرية وعززتها لذات متعالية متسامية أسمتها الله ، وبكل لغات الأرض. أما الدين فقصته أكثر غموضاً وخطورة. فلقد حكم وسير سلوك البشر وما يزال منذ آلاف السنين، وأوجد مؤسسات دينية أفرزت كافة أنواع الشرور والعنف والحروب والبطش والقتل الوحشي والتكفير والسيطرة على عقول البشر بإسم الإله أو الرب أو الله ، أما الطرف الثالث فهو ما يزال يحبو ويجرب ، يفشل هنا وينجح هناك، على نحو نسبي، ويسعى إلى تحسين الوعي البشري والبحث عن أجوبة للأسئلة الكبرى التي تطرحها الإنسانية على نفسها. عن الأصل والمصير، عن المستقبل والمآل الذي ينتظر البشرية، ويبقى صعباً على الإدراك والفهم العام فيما عدا نخبة قليلة من العلماء، ويواجه دوماً جملة من التحديات والظواهر التي يعجز عن فهمها وتفسيرها ومنها أصل الحياة وسرها. ما معنى الحياة؟ أو ما معنى وجودنا بشكلٍ عام؟ من الوهلة الأولى يبدو أنه سؤال ينتمي إلى حقل الفلسفة والدين والفكر المجرد، ولا علاقة له بالعلم. لكن الكثير من موضوعات الفلسفة والدين صارت تقع الآن تحت طائلة العلم، وبالأخص علم الفيزياء. بغية الغوص في هذه الأقانيم المجهولة لإيقاد شمعة في ظلمة الوجود.

وفي هذاالسياق صدر في باريس في 15 أكتوبر كتاب حمل عنوان "الله والعلم الأدلة أو البراهين" فجر ثورة جديدة أو الله والعلم والبراهين العلمية على وجوده بقلم ميشيل إيف بولوريه، أوليفر بونسيس. حيث يتساءل المؤلفان ماذا لو وجد الله؟ هل يمكن تقديم الدليل بالعلم لهذا السؤال؟ لطالما كانت مسألة وجود الله في مواجهة العلم موضوع نقاش: هل يوجد إله خالق؟ لقد تغير موقف العلماء بشكل كبير خلال المائة عام الماضية. ما هي الدروس المستفادة من أحدث الاكتشافات الحديثة وكيف تؤثر على هذا الموضوع؟ في كتابهم "الله ، العلم ، الدليل العلمي : فجر الثورة الجديدة" ، أجرى ميشيل إيف بولوري وأوليفييه بوناسيس تحقيقًا علميًا لأكثر من ثلاث سنوات بناءً على شهادة أعظم علماء الكوكب والتاريخ التي ساعدتهم في توضيح ذلك. طرحوا أسئلة أساسية وجوهرية. للحصول على أجوبة تسمح لهم بالحصول على جميع العناصر لتقرير ما يريدون لقرائهم أن يؤمنوا به، بحرية كاملة وبطريقة مستنيرة. نشأة هذا المشروع العلمي كانت جذابة، ولقد حصلوا على حليف جديد لــ الله وهو العلم فهل حقاً تمكنوا من ذلك كما يدعون؟ لما يقرب من أربعة قرون، أعطت الاكتشافات العلمية الانطباع بأنه من الممكن تفسير الكون دون الحاجة إلى إله خالق. ولكن بشكل غير متوقع، جاءت الاكتشافات العلمية للقرن العشرين لنسف هذه الحقائق اليقينية كما يدعي المؤلفان. وبلغة سهلة ومتاحة للجميع، تتبع هذا الكتاب بطريقة رائعة تاريخ هذه التطورات وقدم بانوراما صارمة للأدلة الجديدة على وجود الله.

في نهاية الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، هل من الممكن الإيمان بإله خالق؟ دعوة للتأمل والنقاش. أطلقها اثنان من المؤلفين الفرنسيين المتحمسين المتشاركين في تألبف كتاب "الله ، العلم ، الدلائل" ، أوليفييه بوناسي وميشيل إيف بولوريه وهما متحمسان للعلم. لقد أمضوا ثلاث سنوات في جمع المعلومات من الباحثين والعلماء لتزويدنا بمجموعة من الأدلة على وجود إله خالق. الكاتب ميشيل إيف بولوريه مهندس كمبيوتر ، وماجستير في العلوم ودكتوراه في إدارة الأعمال من جامعة باريس دوفين. من عام 1981 إلى عام 1990 ، شارك مع شقيقه في إدارة مجموعة Bolloré ، التي ترأس الفرع الصناعي منها. في عام 1990 ، أسس مجموعته الخاصة الإنطلاقة الفرنسية France-Essor ، التي يتركز نشاطها بشكل أساسي على الصناعة الميكانيكية. الكاتب أوليفييه بوناسيس هو طالب سابق في مدرسة

البوليتكنيك (X86) ، وتخرج من معهد بدء الأعمال HEC والمعهد الكاثوليكي في باريس وحصل على شهادة أو (إجازة في اللاهوت). وهو رجل أعمال ، أنشأ العديد من الشركات. كان غير مؤمن حتى سن العشرين ، وقد ألف حوالي 20 كتابًا ومقطع فيديو وبعض العروض والنصوص والمقالات والنشرات الإخبارية والمواقع الإلكترونية حول مواضيع تتعلق غالبًا بعقلانية الإيمان. وانضم إليهما عدد من الخبراء والعلماء من مختلف الاختصاصات، منهم روبرت ويلسون الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1978 لاكتشافه إشعاع الخلفية الكونية، إيف دوبونت نورمالين ،متخصص agrégé في الفيزياء ، دكتوراه في الفيزياء النظرية ، أستاذ في كلية ستانيسلاس في باريس جان ستون مؤسس ومؤلف جامعة باريس متعددة التخصصات (IUP) فيلسوف ومؤلف، انطوان سواريز فيزيائي وفيلسوف متخصص في ميكانيكا الكم، مايكل دينتون عالم الكيمياء الحيوية ، عالم الوراثة الطبية ، أستاذ سابق في جامعة أوتاغو، جان روبرت أرموغاثي نورمالين ، قسيس سابق لـ ENS Ulm ، أستاذ مشارك في الأدب ، دكتوراه في الفلسفة، فابيان ريفول عالم أحياء ، دكتور في الفلسفة واللاهوت وباحث، دكتور خوسيه إدواردو فرانكو من معهد البوليتكنيك متخصص في نظرية المعرفة للعلوم ولكن أيضًا ، أنييس بولوت ، مارك جودينو ، جان فرانسوا لامبرت ، جان ميشيل أوليفيرو ، بيير بيرييه ، ريمي سينتيس ، الشقيقين التوأمين إيغور وغريشكا بوغدانوف صاحبي كتاب الله والعلم الحديث والعديد من كتب الفيزياء المهمة ، فنسنت بيرليزوت ، دكتور جواو ديوغو لوريرو ، هيلينا جيسوس ، فريديريك جيلود ، ريتشارد باستيان ، كريستوف ريكو ، تشارلز ماير .. ثلاث سنوات من العمل مع عشرين عالمًا واختصاصيًا رفيعي المستوى: ومع كل هذا الجهد يدعي المؤلفان أننا يمكن نتأمل ونعيد النظر في قناعاتنا السابقة هنا حيث تكشف البراهين الحديثة على وجود الله كما يقولان. لما يقرب من أربعة قرون ، من كوبرنيكوس إلى فرويد مرورا بغاليليو وداروين ، تراكمت الاكتشافات العلمية بطريقة مذهلة ، مما أعطى الانطباع بأنه من الممكن شرح الكون دون حاجة إلى اللجوء إلى إله خالق. وهكذا في مطلع القرن العشرين انتصرت المادية فكريا. ولكن وبشكل غير متوقع كما كان مفاجئًا ، تأرجح البندول العلمي في الاتجاه الآخر بقوة لا تصدق. إن اكتشافات النسبية ، وميكانيكا الكموم ، وتوسع الكون ، وموته الحراري ، والانفجار العظيم ، والضبط الدقيق للكون أو تعقيد الكائنات الحية قد اتبعت بعضها البعض كتطورات علمية و نظريات رصينة. لقد أتت هذه المعرفة الجديدة لتنشيط اليقينات الراسخة في الروح الجماعية للقرن العشرين، إلى الحد الذي يمكننا فيه القول اليوم إن العقيدة المادية، التي لم تكن أبدًا مجرد اعتقاد مثل أي اعتقاد آخر، في طريقها إلى أن تصبح غير عقلانية. وبلغة في متناول الجميع، يقدم مؤلفا هذا الكتاب استرجاعًا رائعًا للترحيب بتاريخ هذه التطورات ويقدمان بانوراما صارمة من البراهين الجديدة على وجود الله. فمع بزوغ فجر القرن العشرين ، بدا أن الإيمان بإله خالق يتعارض مع العلم. واليوم، أليس العكس هو الذي سيسود؟ هكذا يتساءلان. إنها دعوة للتأمل والنقاش. يقول مثل فرنسي "القليل من العلم يأخذ المرء بعيدًا عن الله، ولكن الكثير منه يعيده إليه": كان من الممكن أن يكون هذا القول المأثور بمثابة شعار مبالغ به في تسويق هذا الكتاب الذي طرح في المكتبات الباريسية يوم 13 أكتوبر. "الحدث" ليس قوياً للغاية: بيد أن هذا "الكتاب يزعج وقد يزعزع اليقينات لدينا"، كما جاء في العنوان الرئيسي لمجلة Le Figaro، التي خصصت له "الصفحة الأولى". وهكذا فإن الحقائق التي اهتزت باتت قديمة وأصيبت بالشيخوخة: فهي تعود إلى العلموية وبدايات الرؤية المادية، التي استمرت في النمو من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر. من كوبرنيكوس إلى فرويد مروراً بغاليليو ولابلاس وداروين وماركس، وكما قلنا، وضع تطور العلوم مسألة وجود الله بين قوسين: "لست بحاجة إلى هذه الفرضية" ، قالها لابلاس لنابليون عندما قدم له كتابه عن الكون وسأله الامبراطور " وأين الله في عرضك هذا؟". اعتمد تيار الفكر المادي الإلحادي على النجاحات العلمية لممارسة الهيمنة المتزايدة في الغرب ، ولا يزال حتى يومنا هذا مع ما بعد الإنسانية ، التي تدعي ضمان خلاص البشرية من خلال العلوم التقنية. ولكن الآن تم هدم هذه العلموية، التي نصبت نفسها بنفسها حارسة لمنارة الحقيقة العلمية... وبالعلم نفسه! لقد حدث هذا التحول خلال القرن العشرين ،

مع سلسلة من التطورات الهائلة: اكتشافات الديناميكا الحرارية ، والنظرية النسبية ، وميكانيكا الكم ، ونظرية الانفجار العظيم المدعومة بنظرية تمدد الكون وموته الحراري الحتمي ، ولكن أيضًا من خلال ملاحظات البراعة المذهلة لـ "التعديل" الذي ساد ظهور الكون وظهور الذرات والنجوم والحياة على الأرض. تأخذنا هذه الملحمة العلمية المذهلة سنوات ضوئية بعيدًا عن المادية الساذجة التي لا تزال تتخلل عقول الناس. لصالح أكبر عدد من الحجج والمبررات، من الصعب متابعة التطور الاستثنائي للعلوم في نطاقي اللامتناهي في الصغر واللامتناهي في الكبير، وفهم مسارها من منظور اصطناعي. هذا هو بالتحديد التحدي الذي واجهه مؤلفا هذه الأطروحة، أي: التوفيق بين إمكانية الوصول إلى جمهور كبير، عبر تبسيط المفاهيم، واحترام الدقة العلمية، خلال دراسة استقصائية طويلة أجريت مع حوالي عشرين متخصصًا. بدءاً من روبرت وودرو ويلسون ، الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1978 والمكتشف المشارك لإشعاع الخلفية الكونية ، وهي الصدى البعيد للانفجار العظيم الذي حدث قبل 13.8 مليار سنة). ولم يكن رهانهما ، فقط فكريًا بل وجوديًا ، من يمكنه أن ينافس مسألة وجود الله؟ بعد وضع هذا الأخير بين قوسين وإلغائه بواسطة النزعة العلمانية "العالمية" ، يشرح الكتاب سبب عودة هذا السؤال إلى حيز النقاش مع الثورة المفاهيمية في القرنين العشرين والحادي والعشرين. لأن جميع الاكتشافات الحديثة المحدثة تتبع مسارات تتلاقى نحو استنتاجات ساحقة. يمكننا تلخيص كل هذا بالقول إنه بينما قبل قرن ونيف من الزمن تم إقناع جميع العلماء بالرؤية المادية، يوجد اليوم شبه إجماع علمي على الاعتراف بأن الحياة المعقدة تتطلب تعديلات لقوانين الطبيعة. كما تتطلب دقة مذهلة، غير محتملة تمامًا من الناحية الإحصائية، والعلماء الآن أجمعوا أيضًا على الاعتراف بأن الكون المرئي يتوسع ، وأن له بداية وستكون له نهاية. الآن ، إذا كان للزمان والمكان والمادة بداية وإذا كان الكون ينطوي على وضع بمثل هذا التعقيد ، فكيف لا يمكننا أن نسأل أنفسنا السؤال الذي كان يطارد بالفعل "الحكماء" (العلماء والفلاسفة على حد سواء؟) في العصور القديمة، وهو هل هناك ضرورة لوجود" المبدأ الأول أو المحرك الأول أو المهندس الأول "، هل هناك ضرورة لكائن هو أصل كل شيء ، كائن سام متسامي، ذكي وعاقل وحي، خالد وغير مادي يتواجد خارج الكون المرئي، وهو الذي تسميه الأديان الله؟ هل نحن إذن حقًا كما يقول العنوان الفرعي للكتاب "إزاء فجر ثورة علمية جديدة"؟ هل يمكننا أن نتوصل بجدية إلى يقين بشأن وجود الله؟ عودة هذا السؤال الجوهري - وهو تحول معرفي حقيقي - هو بالتأكيد في مراحله الأولى، ولكن عند قراءة الكتاب، من الممكن مشاركة التفكير المتفائل للمؤلفين الذين يؤكدان في نهاية مقدمتهما: "في النهاية نفس السؤال الأزلي المطروح، هل الله موجود أم لا: الإجابة موجودة بشكل مستقل عنا وهي ثنائية أو مزدوجة. هل هي نعم أم لا. فقط افتقارنا للمعرفة كان هو العقبة حتى الآن أمام اختيارنا لنعم أو لـــ لا. لكن الكشف عن مجموعة من الأدلة المتقاربة التي هي في نفس الوقت عديدة وعقلانية وتأتي من مجالات معرفية مختلفة ومستقلة ، ليلقي ضوءًا جديدًا وربما حاسمًا على هذه المسألة. " وليحسم الجدل الدائر لما يقرب من أربعة قرون ، خاصة بعدما أعطت الاكتشافات العلمية الانطباع بأنه من الممكن تفسير الكون دون الحاجة إلى إله خالق. ولكن وبشكل غير متوقع، جاءت الاكتشافات العلمية للقرن العشرين والواحد والعشرين لقلب هذا الاعتقاد السائد، إذ تتبع المؤلفان بطريقة رائعة تاريخ هذه التطورات وقدما بانوراما صارمة للأدلة الجديدة على وجود الله. وسعيا إلى إثبات وجود الله من خلال رد على تساؤل علماء ملحدين آخرين، هل من الممكن للمرء، في مطلع القرن الحادي والعشرين، الإيمان بخرافة الخلق الرباني بصيغة " كن فيكون" وتصديق خرافة إله خالق؟ وهل يمكن إثبات وجود الله من خلال الأدلة العلمية؟ وجاء في خلفية غلاف الكتاب:"إليكم البراهين الحديثة على وجود الله الموحى". إذا كانت مسألة وجود الخالق تضع العلم والإيمان في مواجهة ظاهريًا ، فإن المؤلفين يقصدان ، بفضل ثمار جهودهما ، إثبات العكس. أحدهما وهوغير المؤمن حتى سن العشرين ، أوليفييه بوناسيس ، مندهش عندما اكتشف في شبابه أن هناك أسبابًا عقلانية للغاية للاعتقاد بوجود الله. هذا الاكتشاف فاجئه كثيرًا ، لأنه حتى ذلك الحين كان ينظر إلى المسيحيين على أنهم أناس غير عقلانيين. وفي سياق بحثه، أمكن للرجل، أن يلتقى أخيرًا مع إلهه كما يقول ، و أن يتقبل

فقط أن العقلانية ليست في المكان الذي كان يعتقد أنها موجودة فيه. لكن في عام 2013 بدأ كل شيء يتحرك في داخله حقًا ، عندما دعته مدرسة الفلسفة لابنته للتحدث عن الأسباب التي جعلته يؤمن بالله. ثم أعد خريج البوليتكنيك عرضًا مصورًا نشره على موقع يوتيوب بعنوان "إثبات وجود الله وأسباب تصديق المسيحيين" حيث لاقى نجاحًا كبيرًا وحقق الآن أكثر من 1.5 مليون مشاهدة. بعد هذا الفيديو ، اتصل به المهندس ميشيل إيف بولوريه ليقترح عليه العمل معًا على كتاب عن هذا الموضوع. وكان هذا المشروع الضخم الذي نتج عن عمل بحثي طويل وتحقيق وتقصي على مدى ثلاث سنوات والذي جمع آراء العديد من العلماء والمتخصصين. وعلى حد تعبير أوليفييه بوناسيس كانت "هذه المفاجأة التي واجهتها في سن العشرين، مثيرة للاهتمام وتستحق مشاركتها". ينقسم الكتاب إلى جزأين ، يبحث الأول في الأدلة المتعلقة بالعلوم. "لقد ساعدتنا المائة عام الماضية كثيرًا" كما يقول المؤلفان اللذان يذكراننا بأنه إذا كانت هناك دائمًا أسباب للإيمان بالله ، سواء كان ذلك بسب جمال الكون ، أو عظمته ، أو نظامه ، أو حتى انسجامه ". فيبدو أن عدة قرون من كوبرنيكوس إلى فرويد تثبت العكس ". "أخيرًا عندما وصلنا إلى القرن العشرين ، أثارت مجموعة كاملة من الاكتشافات (النسبية ، الديناميكا الحرارية ، الانفجار العظيم ، التوسع الكوني، علم الكونيات، التضخم الكوني ، ميكانيكا الكم ، علم الأحياء ، ضبط الكون ...الخ) هذا السؤال من جديد حول الله وبطريقة قوية ،". "لأن كل هذه الاكتشافات تنتهي بشيء واحد: أن الكون له بداية ، وإذا كانت هناك بداية فهذا يعني أن هناك أيضًا سببًا وغاية. إذن ، أكثر الفرضيات منطقية هي أن العقل الذكي الأعظم يعمل وراء كل ذلك ". بالإضافة إلى هذه البراهين العلمية، يستكشف الكتاب في الجزء الثاني،"البراهين غير العلمية" مثل وجود المسيح، والنبوءات، والمعجزات، وديمومة الشعب اليهودي ... وكلها، حسب المؤلفين، تعمل على انهيار الإطار المادي، والذي لم يعد منذ ذلك الحين متوافقاً مع الواقع. وهي أطروحة يدعمها أيضًا روبرت ويلسون، الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1978 والذي كتب مقدمة الكتاب. يؤكد هذا العالم ، الذي هو نفسه ليس مؤمنًا ، أنه "على الرغم من أن الأطروحة القائلة بأن الكينونة العليا هي أصل خلق الكون لا تبدو كافية بالنسبة له ، إلا أنه يقبل بتماسكها". حتى لا يكون طموح هذا الكتاب المكون من أكثر من 500 صفحة وطبعت منه50000 نسخة هو عدم الحديث عن الإيمان ، كما يذكرنا أوليفييه بوناسيس ، الذي يحدد أنه قبل كل شيء يتعلق بتعريف "الأطروحة العلمية التي تلتصق بالواقع بشكل أفضل" ، تثبت بلا شك أنها أداة ممتازة للتبشير! إنه سؤال عمره ألف عام ويبدو أنه كشف عن التعارض والتناقض بين العلم والإيمان ومناقشة مسألة هل يوجد إله خالق؟ خلافًا للاعتقاد الشائع، شرع المؤلفان ميشيل إيف بولوري وأوليفييه بوناسيس في الإجابة عليه في كتابهما آنف الذكر نتيجة عمل صارم امتد لأكثر من ثلاث سنوات، على امتداد 24 فصلاً مستقلاً، يعتمد على أحدث التطورات العلمية. مدعين أن "كل ما يشرحانه هو من وجهة نظر العلم، حيث كان أغلب المتخصصين يعرفون ذلك بالفعل، لكن كل منهم في مجاله. إلا أنهما أرادا أن يكتبا كتابًا موجزًا لعامة الناس ، يوضحا فيه أن كل شيء يتقارب ، وقد عثر أوليفييه بوناسيس في كتاب هل هناك حقيقة؟ للفيلسوف جان دوجات ، على الإجابة الأولى على أسئلته. يفضح الكتاب الأسباب المنطقية للإيمان بالله: "كلما استفسرت ، وجدت أسبابًا جدية للاعتقاد" ، كما يقول مؤسس موقع الأخبار المسيحي Aleteia ومركز ماري الدولي في الناصرة في إسرائيل وتحقق مشروعه لكتاب بأربعة أيادي. كانت هذه بداية لعملية طويلة من اختيار الموضوعات والقراءات والمقابلات ، مع التركيز على البحث العقلاني عن الحقيقة. "اعتقدنا أننا سنخصص لها عامًا، بيد أن المشروع تطلب أكثر من ثلاثة منا"، يؤكد أوليفييه بوناسيس، الذي "أصبحت مسألة وجود الله مثيرة للاهتمام بالنسبة له لأنها لم تعد غير قابلة للبت فيها". أنه أستجوب 20 متخصصًا، وعرض أكثر من 200 شهادة يخبر المؤلفان المشاركان كيف يمكن للاكتشافات العلمية، التي طالما تعارضت مع الإيمان، أن تتماشى مع وجود الله في العديد من مجالات المعرفة. وهكذا فإن مسألة أصل الكون، أو الانتقال من الحالة الخاملة إلى الحياة، والتعقيد الهائل للشفرة الجينية والتعديل البيولوجي الدقيق للغاية الضروري لتكوين البروتينات والريبوزومات والأحماض الأمينية، إذ كان من غير المحتمل أنها تستطيع أن تتكون بفعل

الصدفة. واستشهد المؤلفان بعالم الوراثة الفرنسي دانيال كوهين - الذي ندين له بأول خريطة جينية بشرية - وانتقل من كونه ملحد إلى لا أدري في مواجهة "البرنامج المكتوب بلغة معقدة للغاية" وهي الجينوم. وأينشتاين ، فريدمان ، ولوميتر ، بلانك ، غوديل ، بنروز ، فيلينكين ، هوكينغ ، بريغوجين ، كريك ، واتسون ... ميشيل إيف بولوريه وأوليفييه بوناسيس يعززان وجهة نظرهما بأكثر من 200 اقتباس من علماء معاصرين. ساهم حوالي عشرين عالمًا بإسهاماتهم ونصائحهم في تأليف هذا الكتاب. يقول Olivier Bonnassies: "تمت إعادة قراءة مسودتنا أيضًا من قبل كبار العلماء ، أعضاء أكاديمية العلوم وباحثي المركز الوطني للبحوث العلمية CNRS". حصل روبرت ويلسون على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1978 ، الذي اكتشف ، مع أرنو بينزياس ، الخلفية الميكروية الكونية المنتشرة ، ووقع على مقدمة الكتاب قائلاً: "يقدم هذا العمل منظورًا مثيرًا للاهتمام بشكل خاص حول العلم وعلم الكونيات وآثارهما الفلسفية أو الدينية". مع فيلم وثائقي قيد الإعداد يخصص لهذا العمل العلمي الشهير أيضًا الذي يتضمن عدة فصول للأدلة "غير العلمية" على وجود الله ، بدءًا من الكتاب المقدس إلى المعجزات غير المبررة ، بما في ذلك شخصية يسوع أو مصير الشعب اليهودي. وهذه ليست سوى الخطوة الأولى في العمل لمؤلفيه ، اللذين وقعا بالفعل على عمل فيلم وثائقي حول مسألة وجود الله. لمن نكتب ولماذا؟ من سيقرأ ومن سيستفيد مما نكتب وننشر بعد تعب ومعاناة في البحث الدؤوب والتبويب والقراءة والمتابعة وتتبع المحاضرات العلمية والتجارب العلمية في مختلف أنحاء العالم وبمختلف اللغات؟ فكرت مع نفسي بأنه لولا الأبحاث والنظريات العلمية لما تطور البشر وتطورت التكنولوجيا التي نتمتع بها اليوم. هذا هو المنطق، المتحالف مع مجموعة من البديهيات، وهو الذي يوجه الإبداع البشري؛ وبالتالي يمكننا من التلاعب بالأفكار ودمجها لكشف الحقائق الأبدية. ولكن بعد أن اطلعت على تحفة برايان غرين الأخيرة وهي كتابه " حتى نهاية الزمان، مكاننا في هذا الكون" بدا لي أنه علي أن أستمر وأواصل مهمتي، كما يتعين علي الحديث عما جاء في هذا الكتاب الذي نشره قبل أشهر قليلة عالم الفيزياء المشهور عالميًا برايان غرين Brian Greene ، وهو أيضاَ مؤلف كتاب الكون الأنيق الأكثر مبيعًا ، وكتاب نسيج الكون The Elegant Universe and The Fabric of the Cosmos، وهو استكشاف آسر للزمن العميق، وبحث البشرية عن هدف في كل من الزمان والمكان ، في هذا الكون الشاسع بشكل مذهل ، ومع ذلك تحكمه قوانين رياضياتية عالمية بسيطة وأنيقة .في هذا الجدول الزمني الكوني، نجد أن عصرنا البشري مذهل ولكنه عابر. فنحن نعلم أننا سنموت جميعًا في يوم من الأيام، ونعلم أن الكون المرئي نفسه كذلك سيموت وينتهي. كتاب حتى نهاية الزمان وموقعنا في هذا الكون هو الانتاج الجديد المذهل عن الكون وسعينا لفهمه وقد تحدثت عنه باسهاب في أحد هذه الكتب الثلاثة. يأخذنا غرين في رحلة عبر الزمن، من فهمنا الأكثر دقة لبداية الكون، ثم يستكشف كيف نشأت الحياة والعقل والوعي من الفوضى الأولية أو حالة الشواش البدئية، وكيف أن عقولنا، في إدراك عدم ثباتها، تسعى بطرق مختلفة لإعطاء معنى لتجربة الحياة في الكون: من خلال القصة، والأسطورة، والدين، والتعبير الإبداعي، والعلم، والسعي إلى الحقيقة، واشتياقنا إلى الأبدية أو الخلود. ومن خلال سلسلة من القصص المتداخلة التي تشرح طبقات متميزة ولكنها متشابكة من الواقع - من ميكانيكا الكموم إلى الوعي مروراً بالثقوب السوداء - يزودنا غرين بإحساس أوضح عن كيف أصبحنا، وصورة أدق لما نحن عليه الآن، وفهم أقوى لما نتجه إليه .ومع ذلك، فإن كل هذا الفهم، الذي نشأ مع ظهور الحياة، سوف يتلاشى مع نهايتها. وهو ما يترك لنا إدراكًا واحدًا: خلال لحظتنا القصيرة تحت الشمس، نحن مكلفون بمهمة إيجاد المعنى الخاص بنا.

سأكرس ما تبقى عندي من عمر وطاقة لمحاولة التقاط لمحة من السمو في هذا الكون الكلي، وليس فقط الكوني المرئي الذي لايتعدى كونه جسيماً صغيراً في بنية وسيرورة وتكوين الكون المطلق اللامتناهي، بحثاً عن حقيقته المتعالية والمتسامية. ولكن يتعين أولاً المرور بأوليات المعرفة العلمية من خلال نوع من البديهيات، مثل تلك التي يعتمد عليها حساب التفاضل والتكامل متناهية الصغر أو الهندسة الإقليدية، أي

نفس التخصصات التي غيرت فهمنا للفيزياء والرياضيات. الجنس البشري واع بحقيقته وواعي بعجزه وقصوره ومع ذلك فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعرف الموت ويدرك أنه سيموت. كل البشر يتقدمون في العمر، ولكن وعيهم يقتصر تمامًا على اللحظة الحالية، والتي يجب أن تكون ممتدة لكي يظهروا أبديين "، وهذه المعرفة تغرس" الخوف من الموت الذي هو في الأساس صفة بشرية. وإن كل دين، وكل بحث علمي، وكل فلسفة تنطلق من هذا الخوف." فنحن أسرى الثالوث المحير" الله الدين العلم"